حفظ أسرار البيت

حفظ الأسرار أدب إسلامي وأخلاقي عام، والأسرار الزوجية أشد خصوصية عن أي أسرار أخرى، سواء كانت تلك الأسرار خاصة بالعلاقة الزوجية أو بمشكلات البيت أو بصفات الزوجين.

تعالوا بنا نتوقف هذه الدقائق مع الإسرار الزوجية وحكم إفشائها .

حفظ الأسرار من الأمانة وهو ممدوح في الشرع:

* قال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) } [النساء: ٣٤، ٣٥]

قوله تعالى (فالصالحات) أي من النساء التي يؤدين حقوق الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ـصلى الله عليه وسلم- وحقوق أزواجهن من الطاعة والتقدير والاحترام

(قانتات) أي مطيعات لله في أزواجهن

(حافظات للغيب بما حفظ الله) الغيب: خلاف الشهادة ويشمل كل ما كان غائبا عن الناس أو الزوج فيدخل فيه

حفظ العرض وحفظ المرأة لمال زوجها وبيته في غيابه وحفظ أسرار البيت؛ لأنها غيب عن الناس.

(بما حفظ الله) أي بحفظ الله إياهن وعصمتهن بالتوفيق لحفظ الغيب فالمحفوظ من حفظه الله، أي لا يتيسر لهن الحفظ إلا بتوفيق الله. أو المعنى: بما حفظ الله لهن من إيجاب حقوقهن على الرجال من المهر والنفقة والعدل والأمر بالإحسان إليها ، أي فعليهن إن يحفظن حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله لهن حقوقهن على أزواجهن حيث أمرهم بالعدل عليهن وإمساكهن بالمعروف وإعطائهن أجورهن، فقوله بما حفظ الله يجري مجرى ما يقال: هذا بذاك، أي في مقابلته.

*حفظ الأسرار من الأمانة الَّتي يجب حِفْظُها وعدم إفشائها؛ فالأصل أنَّ مَن استوْدعك سرًّا أو اطَّلعت عليه وجبَ عليْك حِفْظُه.

روى أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ حَدَّثَ فِي مَجْلِسٍ بِحَدِيثٍ، فَالْتَفَتَ، فَهِيَ أَمَانَةٌ".

وقد ذكر الله مَن يَحفظ الأمانة في سِياق المدح :﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾]المعارج: ٣٢.[

ويحْرم إفْشاء الأسرار، فإفْشاؤها خيانةٌ للأمانة؛ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾]الأنفال: ٢٧.[

(عن ثابت عن أنس- رضي الله عنهما- قال: أتى عليّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم- وأنا ألعب مع الغلمان- قال: فسلّم علينا، فبعثني إلى حاجة.

فأبطأت على أمّي، فلمّا جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لحاجة.

قالت: ما حاجته؟ قلت: إنّها سرّ. قالت: لا تحدّثنّ بسرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أحدا.

قال أنس: والله لو حدّثت به أحدا لحدّثتك يا ثابت)

(عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: كنّ أزواج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عنده، لم يغادر منهنّ واحدة فأقبلت فاطمة تمشي. ما تخطىء مشيتها من مشية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شيئا، فلمّا رآها رحّب بها. فقال: «مرحبا بابنتي» ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله. ثمّ سارّها فبكت بكاء شديدا. فلمّا رأى جزعها سارّها الثّانية فضحكت. فقلت لها. خصّك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من بين نسائه بالسّرار، ثمّ أنت تبكين، فلمّا قام رسول صلّى الله عليه وسلّم سألتها: ما قال لك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالت: ما كنت أفشي على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سرّه. قالت: فلمّا توفّي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحقّ لما حدّثتني ما قال لك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقالت: أمّا الآن فنعم. أمّا حين سارّني في المرّة الأولى فأخبرني: «أنّ جبريل كان يعارضه القرآن في كلّ سنة مرّة أو مرّتين، وأنّه عارضه الآن مرّتين (وقال) إنّي لا أرى الأجل إلّا قد اقترب، فاتّقي الله واصبري. فإنّه نعم السّلف أنا لك» قالت: فبكيت بكائي الّذي رأيت، فلمّا رأى جزعي سارّني الثّانية فقال: يا فاطمة: أما ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين أو سيّدة نساء هذه الأمّة؟» قالت: فضحكت ضحكي الّذي رأيت».

وقد نقل الغزالي رحمه الله رواية عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق زوجته، فقيل له: ما الذي يريبك فيها؟

فقال: العاقل لا يهتك سر امرأته، فلما طلقها قيل له: لم طلقتها ؟ فقال: مالي وامرأة غيري.

إفشاء السر يدخل في خيانة الأمانة وهو من صفات المنافقين:

عن أبي هُرَيرة أنَّ رسول الله - صلّى الله عليْه وسلَّم - قال: ((آية المنافق ثلاثٌ: إذا حدث كذَب، وإذا وعد أخْلف، وإذا اؤتُمن خان))؛ رواه البخاري (٣٣) ومسلم.(59)

وإذاعة السّرّ من قلّة الصّبر وضيق الصّدر

وهذا توصف به ضعفة الرّجال والصّبيان والنّساء، والسّبب في أنّه يصعب كتمان السّرّ هو أنّ للإنسان قوّتين: آخذة، ومعطية. وكلتاهما تتشوّف إلى الفعل المختصّ بها، ولولا أنّ الله تعالى وكّل المعطية بإظهار ما عندها لما أتاك بالأخبار من لم تزوّده، فصارت هذه القوّة تتشوّف إلى فعلها الخاصّ بها. فعلى الإنسان أن يمسكها ولا يطلقها إلى حيث ما يجب إطلاقها.

إفشاء الأسرار من الغيبة المحرمة:

فما يَجري بين الزَّوجين داخل بيت الزَّوجيَّة هو من الأسْرار الَّتي يَجب حِفْظُها ولا تذاع إلاَّ لمصلحة راجحة، فمن الخطأ الَّذي يقع فيه بعض الأزْواج من الرّجال والنّساء أنَّه متى حصل خلاف أو تقصير من أحدِهِما، بادر الآخر بذكر ذلك عند أهلِه، وإفشاء ذلك من الغيبة التي الأصْل فيها التحريم.

انتشار الأسرار الزوجية يوغر الصدور ويكون سببا لقطع الطريق أمام الإصلاح بين الزوجين:

انتشار الأسرار الزوجية مما يوغر صدور الأصهار وقد يتصالح الزوجان وتبقى الصدور ملتهبة، فمن كثرة الشكوى تحتقن الأمور بين الرجل وأهل زوجته والعكس بالعكس مما يسد أمامهما طريق الإصلاح.

إن طيران المشكلة خارج البيت يعني استمرارها واشتعالها، خصوصاً إذا وصلت إلى أهل أحد الزوجين فلن يكون الحكم عادلاً في الغالب لأنهم يسمعون من طرف واحد، وقد تأخذهم الحمية تجاه ابنهم أو ابنتهم.

كما أنه يقطع الطريق أمام الإصلاح بين الزوجين؛ لأن الناس يكونون على علم بأمور خاصة بينهما فيقطع سبيل الإصلاح. فقد يتدخل في الأمر من لا يبحث عن الإصلاح فيُطورها، وقد يتعرض الرجل للأذى في أهله، وتتعرض الزوجة للأذى في زوجها.

يحرم إفشاء سر الفراش:

كما أنَّه يَجب على الواحد منَّا حفظ أسرار غيْرِه يَجب عليه حفظ سرِّه الخاص، فما يَجري بين الزَّوجين من معاشرة جِماع فما دونه، فهذا من السِّرّ الواجب حفظه.

فعن سعيد الخدْري قال: قال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((إنَّ مِن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرَّجُل يُفْضِي إلى امرأتِه، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها))؛ رواه مسلم، وفي رواية له: ((إنَّ من أشرِّ النَّاس عند الله منزلة يوم القيامة الرَّجُل يفضي إلى امرأته وتفضي إليْه ثمَّ ينشُر سرَّها)).

قوله –صلى الله عليه وسلم-: (إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها) وقوله –صلى الله عليه وسلم-: (هل منكم رجل إذ أتى أهله فأغلق عليه بابه وألقى عليه ستره واستتر بستر الله؟ قالوا: نعم. قال: ثم يجلس بعد ذلك فيقول: فعلت كذا فعلت كذا فسكتوا ثم أقبل على النساء فقال: هل منكن من تحدث؟ فسكتن. فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها وتطاولت لرسول الله –صلى الله عليه وسلم- ليراها ويسمع كلامها فقالت: يا رسول الله! إنهم ليحدثون وإنهن ليحدثن فقال: هل تدرون ما مثل ذلك؟ إنما مثل ذلك مثل شيطانة لقيت شيطانا في السكة فقضى حاجته والناس ينظرون إليه)

ففي هذا الحديث تَحريم إفْشاء الرَّجُل ما يجري بيْنه وبين امرأته من أمور الاستِمْتاع، ووصف تفاصيل ذلك وما يَجري من المرأة فيه من قول أو فعل.

وليس الحكم متعلِّقًا بالرَّجُل بل المرأة كذلك، بل ربَّما يحصُل هذا من النساء أكثر من ، فإن فعلتْ فهي داخلة في الوعيد، والله أعلم.

آثار سلبية

الوقوع في المحظور الشرعي.

تشجيع النفوس المريضة على متابعة الأفلام الهابطة والأغاني الماجنة.

إيقاد نار الغيرة في قلوب المستمعات، وربما أدى ذلك إلى إثارة المشاكل الزوجية.
جرح مشاعر المرأة التي ليس لديها زوج (الأرملة، المطلقة، العزباء). انتشار النصائح الخاصة التي قد لا تصلح للكل مما يؤدي إلى ما لا يحمد عقباه.
الخوف من الإصابة بالعين إذا كان الحديث شخصياً.
سقوط هيبة المتحدثة في هذه الأمور المنافية للحياء مما قد يجعل البعض يتجرأ بالنصائح والكلام الخارج مما لا يحمد عقباه.
تأثر الفتيات إما بكره الزواج والخوف من مسئولياته أو أن ينزع الحياء منهن.
تأثر الأطفال بما يسمعون وذلك أن البعض يخوض في الموضوع بحضرتهن وربما دفعهم ذلك لأمور سيئة.

الضرورة تقدر بقدرها:

يجوز إفشاء أسرار الزوجية في بعض الحالات :
حالة التقاضي أمام القاضي:
إن كان الحديث فيها لإثبات حق أو رفع ظلم .. كأن تكون أمام القاضي فتذكر المرأة بعض عيوب زوجها لمحاولة رفع الظلم أو الإصلاح وتكون على قدر الضرورة بلا استطراد. حتى وإن كان في باب الجماع فتنكر المرأة نكاح الزوج لها وتدعي عليه العجز عن الجماع أو نحو ذلك فهذا لا بأس بالحديث فيه لما روي أن رجلاً ادعت عليه امرأته العنة وقالت للنبي صلى الله عليه وسلم إن معه مثل هدبة الثوب، فكذبها وقال: والله يا رسول الله إني لأنقضها نقض الأديم ولكنها ناشز تريد رفاعة ولم ينكر عليه -صلى الله عليه وسلم-.

حالات إزالة الشقاق:
إن كان الحديث فيها عند الحكمين حكما من أهله وحكما من أهلها لمحاولة الإصلاح والتوفيق بين الزوجين. وتكون على قدر الضرورة بلا استطراد.
حالة الاستفتاء:
كأن يسأل الرجل أو المرأة عن بعض الأمور كما في قصة أبو طلحة وأم سليم لما أخبرته بخبر موت ابنه فذهب للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له: (أعرستم الليلة) ودعا له بالبركة.
حالات الضرورة كالعلاج، وتكون عند الطبيب ونحوه من أهل الخبرة وكل يقدر بقدره.